الإجحاف ضد السودانيين في وسائل الإعلام

المؤلف: انطون لين

التاريخ: مايو 2020

"الصحافة ... يجب أن تعكس الجوانب الإيجابية والسلبية للأنشطة البشرية وأن تعرض الحلول البناءة المحتملة للتحديات الهامة."

مراسلون بلا حدود[1]

"يجب على الصحافة أيضًا محاولة تمثيل وجهات النظر والمصالح المتنوعة في المجتمع بشكل عادل ووضعها في سياقها الصحيح".

معهد الصحافة الأمريكية[2]

في فضح الفظائع والأعمال الوحشية التي اتفقت جميع الأطراف على إنها وقعت في دارفور،[3] لعب المجتمع الدولي ووسائل الإعلام بشكل خاص دورًا مهمًا أنقذ عددًا لا يحصى من الأرواح. حيث نقلت تقارير وسائل الإعلام، وحملة التعرية والسلب، وحركات أنقذوا دارفور (Save Darfur) التي تطورت في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ما حدث، وزودت تلك الحركات بدورها وسائل الإعلام بمزيد من المعلومات. وكان لعمل "مشروع كفاية" في تعقب مصادر التمويل أثراً كبيراً على سياسة الحكومة الأمريكية في فرض العقوبات على السودان. وأن كل من شارك في فضح ما كان يحدث له الحق في أن يفخر بما قام به من عمل.

ومع ذلك، تطور بعض السرد لرواية الأحداث وطرق تصنيف الأخبار السودانية على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية بطريقة أصبحت الآن مجحفة وضارة.

بادئ ذي بدء، أن ترسيخ جوانب معينة من السرد يزيل الذاتية من حياة السودانيين وهم يعايشون قصصهم الخاصة بهم في كل يوم. فالتحيز الصريح أمر نادر، ويفتقر عادةً للتأثير لأنه من السهل تحديده والتعرف عليه. أما التحيزات الإجرائية يصعب اكتشافها وبالتالي يمكن أن تكون أكثر ضررًا.

1(مراسلون بلا حدود)
(المعهد الأمريكي للصحافة، بدون تاريخ) مستمدة من عناصر الصحافة
وقد اعترف البشير نفسه بأن الكثيرين لقوا حتفهم في دارفور، على الرغم من أنه يشكك في أرقام الأمم المتحدة، وقال في مؤتمر صحفي في سبتمبر 2006، إن عددهم كان 10 آلاف فقط. لا توجد أرقام متفق عليها للوفيات هناك، على الرغم من أنه بحلول عام 2008 قدرت الأمم المتحدة الرقم بـ 300000 (هولمز، 2008).

وتولد كل هذه الآليات مجتمعة، ديناميكية التحيز ضد العديد من جوانب الحياة السودانية. ونورد أدناه أمثلة فردية لكل من هذه الأنواع من الإجحاف والتحيز. لكن من المهم أن نفهم أن النقاش التالي لا يهدف لتشويه سمعة العمل الحيوي الذي تؤديه هذه المنافذ الإعلامية (ولا حتى المقالات المذكورة)، ولكن لتوضيح كيف إنه حتى المؤسسات الدولية ذات المهنية العادلة والغير متحيزة قد أذعنت لتحيز دقيق في تقاريرها.

قد يكون من الصحيح أن التلميحات أو التفضيلات الخاصة لهؤلاء المعلقين صحيحة (باستثناء تلك التي تكون ضارة بشكل صريح بأي شكل من الأشكال)، من حيث أنها تتماشى مع رغبات الشعب السوداني. لكن ذلك لا يمنح المعلقين الدوليين الحق في تحقيق أهدافهم من خلال التحيز المجحف. فالعملية العادلة المنصفة وعتبة البداية المناسبة من الأدلة هي جزء لا يتجزأ من عملية الحقيقة والمصالحة، بينما التحيز ليس كذلك.

يستخدم هذا المقال تصوير قوات الدعم السريع في وسائل الإعلام كدراسة حالة. ليس بالضرورة أن تكون قوات الدعم السريع تمت معاملتها بتحيز وإجحاف أكبر من المؤسسات الأخرى في السودان، لكن نظراً لوضعها البارز حالياً فهي توفر مثالاً واضحاً لهذه القضية.

انتحال الذاتية

إن أطر التحليل التي ساعدت على تعبئة الملايين من المواطنين الغربيين غير المطلعين، لم تتطور مع تطور وتقدم الأحداث. فتطبيق الروايات القديمة على أحداث جديدة وأناس جدد ينقل الذاتية من السودانيين ويحتفظ بها لدى المعلقين الدوليين.

وقد تطورت المطالبات المبكرة للحكومة السودانية لوقف الفظائع والأعمال الوحشية إلى إحساس عام بالاستحقاق. ومنحت وسائل الإعلام والمؤسسات البحثية غير السودانية لنفسها الحق في تقديم مطالب معيارية مستمرة ومفصلة تمامًا بشأن الحياة والحكومة السودانية الحديثة –فمنظمة هيومن رايتس ووتش–على سبيل المثال–لم تعدد وتسرد صراحة النتائج المرجوة فحسب، بل عددت الآليات التي تطلب من السودان تطبيقها.[4]وعندما تظل وجهات النظر هذه بمثابة اقتراحات، فإنها تكون جزءًا مرحبًا به في الحوار بين المجتمع الدولي وأحد شعوبه. لكنها، عندما تطالب بالعقوبات، والاعتقالات، وتقرر من الذي يمكنه ومن الذي لا يمكنه تشكيل الحكومة، ويأخذ هؤلاء على عاتقهم ترتيب أولويات حياتية معينة على حساب أولويات أخري للسودانيين، فإنهم بذلك يؤثرون على الحياة الفعلية دون أي حق ديمقراطي أو أي خبرة للقيام بذلك.

نشرت صحيفة ديلي بيست (The Daily Beast)، في يونيو 2019، مقالًا يدين السياسة الخارجية الأمريكية لإشراكها دول المنطقة مثل المملكة العربية السعودية التي كانت تدعم حكم المجلس العسكري الانتقالي (TMC) للسودان. استنكر المقال

تقدم (هيومن رايتس ووتش، 2019) قائمة تفصيلية من ثماني نقاط لما يجب أن تفعله حكومة السودان بالضبط، حتى تخبر رئيس الوزراء كيف "يجب" عليه إدارة بعض لجانه.

أخذ الولايات المتحدة في الاعتبار النظام الذي قدمه المجلس العسكري الانتقالي للسودان.5 في الواقع، في غضون شهرين من ذلك المقال، سلم المجلس العسكري الانتقالي السلطة إلى مجلس سيادة ذو أغلبية مدنية.

إن أسر السودانيين الذين قتلوا في أعمال عنف بين المدنيين يوم 29 من شهر ديسمبر من ذلك العام، أو تأثر سكان الخرطوم من تمرد عملاء جهاز الأمن والمخابرات الوطني في 14 يناير، 2020 (الذي أوقفته قوات الدعم السريع) ربما أو ربما لا تريد هذه الأسر إزاحة قوى تثبيت الاستقرار التي تحكم السودان اليوم. فالنقطة الأساسية هنا هي أن مثل هذه القرارات تخص الشعب السوداني، وكما هو واضح من انتقال السلطة، إن العديد من الجهات الدولية الفاعلة هي ببساطة لا تعرف ما يكفي عما يحدث لكي تقوم بوضع توقعات دقيقة أو مطالب إلزامية.

الإجحاف الصريح

أمثلة الإجحاف الصريح نادرة في وسائل الإعلام الغربية لكنها مستمرة. كتبت صحيفة الإندبندانت عن مقابلة مع حميدتي أن "هذه المقابلة النادرة جرت في منزل حميدتي في العاصمة، حيث جلس على أريكة من أثاث متواضع من القماش باللون الأزرق المطلي بالذهبي من نوع أثاث صالونات التجميل".6 هذا النوع من الأثاث هو معيار اجتماعي وسط العديد من السودانيين، بما في ذلك المغتربين. فالأثاث المطلي باللون الذهبي ظاهرة ثقافية. فكانت المقارنة التي فيها استخفاف بالإثاث بتشبيهه بأثاث صالونات التجميل فيها حط من القدر الثقافي؛ فهل يعيش جميع السودانيين بأثاث مطلي بالذهبي يشبه أثاث صالونات التجميل؟ هل الثقافة السودانية عموماً فيها انحطاط؟

وهناك مقال رأي آخر في مجلة السياسة الخارجية "فورين بوليسي" حول حميدتي ينتهي بسطر بعبارة إن 'وضع أرضية للوحش قد تتطلب أكثر من المتظاهرين العزل".7 فهي إشارة غامضة فيما إذا كانت عبارة "أكثر من المتظاهرين العزل" هي دعوة للعنف، أو شيء آخر. فاللغة الغامضة التي تترك مجالًا للتفسير العنيف، خاصة عندما تكون من خبيرة محترمة مثل تبيانا، هي نفسها لغة غير مرحب بها. والأقل غموضًا هو وصفها لتحول حميدتي للسياسة على أنه "وضع أرضية للوحش"، فهذا الوصف يضع حميدتي نفسياً بقوة في مجموعة الآخر–نحن وهم–التي يمكن فعل أشياء معينة ضدها بعواقب أخلاقية أقل لتلك الأفعال. فهذه التكتيكات لتسليط الضوء على الآخر تم استخدامها على مر التاريخ وخاصة في القرن العشرين كجزء من عزل أهداف معينة لجعلها هدفاً لممارسة العنف ضدها.8 على الرغم من أن هذه الأدوات الأدبية في الكتابة قد تبدو محدودة الخطورة، لكن في سياق الإبادة الجماعية في السودان، مثل هذه اللغة هي لغة خطيرة.

(لينش Lynch،2019)
(ترو Trew 2019)
(توبيانا، Tatiana،2019)
(كوبر Cooper،2009 ص 7) تلعب "عملية" إنشاء الآخر "دورًا مهمًا في تحديد المجموعات الخاضعة للإبادة الجماعية"

الإجحاف الإجرائي –إطلاق الألقاب

يعد استخدام مصطلح "الجنجويد" لوصف قوات الدعم السريع هو أحد أكثر الطرق شيوعًا لتشويه سمعة قوات الدعم السريع دون الحاجة لتقديم أي دليل. تحيط العديد من الفروق الدقيقة بإنشاء قوات الدعم السريع في عام 2013، كما هو مفصل في جدول التسلسل الزمني المنشور في مكان آخر في هذا المجلد. حيث تم جمع العديد من الميليشيات المختلفة فيها. في عهد الجنجويد في أواخر التسعينات وأوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين –كان العديد من أعضاء قوات الدعم السريع الحاليين لم يولدوا بعد في ذلك الوقت–وكان لهم أقرباء يموتون على يد الجنجويد. منظمة الشاهد الدولي/جلوبال ويتنس (Global Witness)، وهي منظمة غير حكومية ممولة جيدًا واعية بهذه الفروق والاختلافات، لكن مع ذلك قامت بتبسيط سرد الرواية إلى حد التشويه، حيث كتبت المنظمة تقول: "قوات الدعم السريع وأسلافهم، الجنجويد".9 ليس "أسلافها"، على المستوى المؤسسي، ولكن "أسلافهم"، على مستوى الأفراد داخل قوات الدعم السريع.

الجنجويد هو مصطلح غير رسمي يستخدم لوصف، بشكل جماعي، بعض الميليشيات غير الحكومية في دارفور منذ عشرين عامًا. تم تشكيل هذه الجهاز الرسمي للحكومة، وتسميته رسمياً ب قوات الدعم السريع، وذلك جزئيًا للحد من أعمال ونفوذ الجنجويد. لا يتحمل الجنود الشباب في قوات الدعم السريع اليوم المسؤولية عن الجرائم، التي تم ارتكابها في بعض الأحيان ضد أفراد أسرهم ذاتهم، ارتكبها أشخاص آخرين قبل أن يولدوا هم.

الإجحاف الإجرائي –الأدلة والاختيار

تقوم منظمة هيومن رايتس ووتش بسرد10 قائمة من المزاعم ضد قوات الدعم السريع، وتلحق بها بعد ذلك البيان أو العبارة التالية: "استخدمت الحكومة أيضًا قوات الدعم السريع لاعتراض المهاجرين واللاجئين". وتغفل المنظمة ذكر أن قوات الدعم السريع فعلت ذلك كجزء من برنامج ممول من الاتحاد الأوروبي، وبناءً على طلب الاتحاد الأوروبي.

ووُجدت أيضا حادثة مجانبة ومقارنة –أي وضع شيء بجانب شيء آخر بهدف المغايرة أو المقارنة–وإغفال مماثل في تقارير هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي. ففي 12 يوليو، 2019. حيث قامت هيئة الإذاعة البريطانية بتحميل مقطع فيديو طويل في صفحتها الخاصة بأفريقيا، وسردت بالتفصيل أحداث 3 يونيو من خلال لقطات وروايات وسائل التواصل الاجتماعي.11 ففي هذا الفيديو، بعد عرض رجل يتهم حميدتي بأنه يقف وراء العنف، تم تقديم قسم في الفيديو عن حميدتي، يوحي من خلال المجانبة/للمغايرة والمقارنة، بأنه ربما يكون مسؤولاً عن أحداث العنف تلك. ولم يتم ذكر أي شيء في السرد، عند الانتقال لعرض خلفية عن حميدتي، في مقطع فيديو نشرته هيئة الإذاعة البريطانية في نفس الصفحة قبل أسبوع، أظهر مدنيين يحتفلون بالاتفاق الذي تم للتو وقتها في الخرطوم.12وقد وضع هذا الاتفاق حميدتي نائبا لرئيس مجلس السيادة. لم

(الشاهد الدولي/جلوبال ويتنس، 2019)
(هيومن رايتس ووشت، 2019)
(أخبار هيئة الإذاعة البريطانية-بي بي سي نيوز، 2019) مذبحة السودان، بث مباشر
(أخبار هيئة الإذاعة البريطانية، بي بي سي نيوز، 2019)، "مدنيون سودانيون يحتفلون بصفقة تقاسم السلطة"

يلق هذا الفيديو، الذي يظهر مشاعر أكثر إيجابية تجاه حميدتي، أي رواية أو تعليق –إيجابي عليه–من هيئة الإذاعة البريطانية.

قامت وسائل الإعلام على اتساعها بأعمال انتقائية مماثلة. فهناك مقال في موقع عين الشرق الأوسط (Middle East Eye) من 1 يونيو، 2019 (قبل يومين من المذبحة) أفاد بأن منطقة كولومبيا، المنطقة التي كانت في طرف مكان الاحتجاجات، يتم استخدامها للمخدرات، وكانت "خارجة عن القانون تمامًا " وانتقدها بعض المتظاهرين أنفسهم.13يؤكد المقال أن قوات الدعم السريع طلبت من الناس قبل مدة طويلة الخروج من تلك المنطقة قبل مداهمتها، وقدمت النيابة العامة (SPA) هذا الطلب للمتظاهرين قبل يوم 3 يونيو. ومع ذلك، لا توجد أي إشارة إلى هذه الحقائق في أي تغطية إعلامية دولية بعد 3 يونيو.

الإجحاف الإجرائي–الاستنتاجات

أصدرت منظمة جلوبال ويتنس تقريرًا تم الاطلاع عليه وقراءته على نطاق واسع في عام 2019، يبحث في تمويل واستقلالية قوات الدعم السريع.14وحددت فيه شركة تسمى ترايديف (Tradive) بأنها كشركة واجهة لقوات الدعم السريع، وادعت المنظمة أن لديها أدلة على أن قوات الدعم السريع أرسلت 50 مليون درهم إلى شركة ترايديف، ثم أعادت ترايديف 48 مليون درهم إلى قوات الدعم السريع. تم الاحتفاظ بهذه الخسارة الصافية البالغة مليوني درهم بأن تكون دليل على أن ترايديف تمول قوات الدعم السريع.

من الواضح أن الأدلة المقدمة تثبت العكس –إنها على العكس، حيث إنه بناء على هذا الدليل دفعت قوات الدعم السريع مبلغ مليوني درهم لشركة ترايديف. من المعقول جداً أن يتساءل دافعو الضرائب عن السبب الذي يجعل مؤسسات حكومية تتعامل مع شركات خاصة، وتحديداً مع أي من تلك الشركات. لكن استخلاص استنتاج مفاده أن قوات الدعم السريع تدفع أموال لشركة خاصة هو بحد ذاته دليل على أن تلك الشركة تمول قوات الدعم السريع، فهذا لا يستقيم.

عودة إلى مقطع فيديو هيئة الإذاعة البريطانية في 12 يوليو، تم عرض دفاع حميدتي عن الاتهامات بأنه متورط في أحداث 3 يونيو.15حيث ادعي أن وكالات حكومية أخرى كانت ترتدي زي قوات الدعم السريع، وأنه اعتقل عددًا من الأشخاص الذين كانوا يفعلون ذلك. ثم تلي ذلك عرض راوية هيئة الإذاعة البريطانية مع ردها الخاص، وهو أن هيئة الإذاعة البريطانية تحدثت مع شخصين لم يتم التحقق من هويتهما بشكل مستقل ولكنهما زعما بأنهما من عناصر قوات الدعم السريع التي ارتكبت أعمال العنف تلك. وهكذا توفر القصة الإخبارية لهيئة الإذاعة البريطانية دليلاً يدعم أيًا من الادعاءين. قد يكون عدم

(أمين، 2019)
(الشاهد الدولي/جلوبال ويتنس، 2019)
(أخبار هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي نيوز، 2019) مذبحة السودان بث مباشر، 13 دقيقة و55 ثانية

القدرة على التحقق من هوية تلك المصادر هو في الواقع لأن هذين الشخصين ليس من قوات الدعم السريع، كما ادعى حميدتي. أو من المحتمل أن الرجلين كانا يقولان الحقيقة وشاركا في الأعمال الوحشية لقوات الدعم السريع. لكن هذا الجزء من الرواية تختمه هيئة الإذاعة البريطانية كأنه بيان لحقيقة أن قوات الدعم السريع هي التي فعلت ذلك، وانتهي الأمر عند هذا الحد.[16]

إذا كانت المقابلات مع شخصين لا يمكن التحقق من مصدرهما تعد بمثابة دليل مؤكد، فيجب تطبيق هذا المعيار عبر جميع تقارير هيئة الإذاعة البريطانية. ومع ذلك، عندما أجريت هيئة الإذاعة البريطانية مقابلات مع اثنين من الروس في لندن في عام 2018 وزعما أنهما كانا يزوران كاتدرائية سالزبوري لتقدير ارتفاع البرج (فيما يتعلق بحادقة تسمم العميل الجاسوس الروسي سكريبال في لندن)، وصفت هيئة الإذاعة البريطانية روايتهما من الأحداث بأنها "إنكار تام ممزوج بالسخرية ".[17]

لكي تصدر حكمها، استخدمت هيئة الإذاعة البريطانية جواز السفر، والدائرة التلفزيونية المغلقة وغيرها من الأدلة من الأجهزة الأمنية بأن قصة الشخصين الروسيين ليست صحيحة. لكن في حادثة 3 يونيو لم قدم هيئة الإذاعة البريطانية أي دليل من هذا القبيل ومع ذلك شعرت الهيئة بالراحة لإصدار حكم جازم بنفس القدر. إن أعباء تقديم أدلة إثبات هي قرار تحريري لهيئة الإذاعة البريطانية، ليست في حد ذاتها مجحفة ومتحيزة. لكن استخدام معايير مختلفة لأدله إثبات لأشخاص مختلفين هو أمر مجحف ومتحيز.

ملخص

مطلوب المزيد من التغطية الإعلامية الدولية للأحداث في السودان، وليس تغطية أقل. فاتساع نطاق التغطية يوازن التحيزات والإجحاف الإجرائي ويساعد في تشكيل الأحكام التي يطلقها الذين يكتبون عن السودان. كما يوفر المزيد من المعلومات حول جميع جوانب أي مسألة من المسائل المطروحة، الأمر الذي يزيد بدوره من دقة التقارير.

وأن الخطوة المهمة في هذه الرحلة هي معاملة السودانيين كأشخاص عاديين، يستحقون بطبيعة الحال طيفاً كاملاً من الخصائص الإنسانية. وقد تمَ إضفاء الإثارة على التغطية في الوقت الحاضر، مع استخدام حتى الأثاث لجعل القصص تبدو غير عادية. ومهما كانت الظروف في السنوات الأخيرة شديدة التطرف والصعوبة، ومهما كانت المساعي الصحفية مبررة لإيقاظ الوعي العالمي بفظائع الماضي، فقد تغيرت الأزمنة. ففي صميم القضايا التي تحيط بالتغطية الإعلامية للسودان اليوم تكمن الذاتية؛ وقد جادل هذا المقال بأن الذاتية تم حجبها من السودانيين من قِبل المجتمع الدولي.

====

[16] نفس المرجع السابق، 15 دقيقة و49 ثانية
(أخبار هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي نيوز، 2018)